تفريغ درس ٢٢

الشوق إلى الحج والعمرة

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ،بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله وكفى وصلى الله وسلم وبارك على النبي المصطفى واله المستكملين الشرف،ثم أما بعد: فأسال الله تبارك وتعالى أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، وأن يزيدنا علماً ينفعنا، اللهم اجعل ماأقول وما تسمعون حجة لنا لاعلينا، اللهم اجعل عملنا كله صالحاً ولوجهك خالصاً ولاتجعل فيه لاحد غيرك شيئا،{ رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا }،

هذا هو الدرس الثاني والعشرون في مدارسة ربع العبادات من كتاب "مختصر منهاج القاصدين"

وموعدنا في هذه المحاضرة مع أبي العبادات، حينما نذكر هذا فينبغي أن يذهب الخاطر سريعاً سريعاً إلى بيت الله الحرام وأن تهفو النفس الآن إلى النظر إلى الكعبة المشرفة وأن يرتج بداخل الانسان أحساس سماع التلبية وهي تخرج من القلب قبل اللسان، وحينها نتذكر تلك المرأة الصالحة التي ذهب شوقها قبل جسدها إلى بيت ربها وهى حال الترحال إلى بيت الله الحرام، تصرخ في الناس ... أين بيت ربي؟؟؟

حتى إذا ما وقعت عينها على الكعبة ذهبت مسرعة ووضعت خدها على الكعبة .... فما رفعوها الا ميتة.

أين بيت ربي؟؟؟

في ظل الفتن التي يعيشها الأنسان يحتاج الأنسان أن يعلق القلب هناك هناك....في الحرم، حيث أن اللقطة لايجوز أن تلتقط في هذا المكان الشريف، فمن المعاني النفيسة والجليلة ما يذكره بعض علمائنا حين يقولون: اللقطة لا تلتقط إذاً أرمي بقلبك هناك فإنه لايجوز لأحد أن يلتقطه فدعه هناك وعش بعد ذلك بين الناس بجسدك واجعل قلبك معلقاً بأستار الكعبة.

نعم ...والله إننا نحتاج أن نذكر ونتذاكر ونتشوق إلى بيت الله الحرام، نحتاج أن نعيش في رياض الحج والعمرة وأسرار ذلك.....وهذا هو موضوع درسنا " الحج وأسراره وفضائله وأدابه " ونحو ذلك.

هذه المعاني لاينبغي فقط أن تتذاكر في المواسم، وإنما وهذا عن تجربة ... والله الذي لا اله غيره...أعرف ذلك من حال بعض إخواننا وقد جربنا ذلك فانتفعنا به إنتفاعاً عظيماً .... أن يصير الأنسان من الموسم الى الموسم يدعوا الله عز وجل ويلح عليه وإن أفتقد الأسباب أن يُبلغ العمرة أو يُبلغ الحج وستجدون الله أكرم الأكرمين، يرزق من حيث لاتحتسبون وتجدون أنفسكم وقد حللتم بأجسادكم وقلوبكم في الحرمين. لذلك أوصيكم وأوصي نفسي بكثرة الدعاء والألحاح على الله عز وجل أن يمن علينا بزيارة بيته الحرام وأن يتابع لنا بين الحج والعمرة والأ يحرمنا من ذلك.

دائماً نوصي أخواننا حال العمرة أو حال الحج لاسيما في طواف الوداع وأنا أبدا بكم من النهاية وليس من البداية وذلك لان النهاية بداية....الأنسان وهو يطوف طواف الوداع دايماً أبداً يقول لربه : يارب لاتطردني ... يارب لاتطردني ... يارب أنا لاأترك هذا

المكان لأني أهفو إلى مكان آخر، ولا لأني أشتقت إلى الأهل والأولاد والعمل والحياة و.......بل ياربي فأنا لاأريد الا بيتك ولا أريد أن يختم لي الا هاهنا....ولكن هذا أمرك وأنا ممتثل لذلك. فأنت حال توديعك للمكان تترك القلب هناك.

أحبتي .... الحج والعمرة لهما ثواب عظيم، فدعونا نثير الأشواق فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: " أديموا الحجَّ و العُمرةَ ، فإنَّهما ينفِيانِ الفَقرَ و الذُّنوبَ كما يَنفي الكيرُ خَبثَ الحديدِ" [صححه الألباني٢٥٣] وهذا معنى عالي جداً، نقول دائماً عندنا ذنوب لانستطيع التخلص منها ونرى في أنفسنا خبث وميل للفجور....نعم ألم يقل الله عز وجل: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا*فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا}[الشمس٧:٨] فلكل واحد منا خبث، وفي كل واحد منا ميل للفجور ونريد أن نتطهر ....فها هنا مكان التطهير.فالفقر هنا فقر النفوس والغنى غنى النفس، حينما يكون الأنسان قد قنع بما أتاه الله، حينما لايكون الأنسان كحال بلعام قال تعالى: {فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ }[الاعراف١٧٦] لكن حاله بهذا الرقي....هذا السمو وهو غني النفس وينفي الذنوب فها هو يطهر من أثر الذنوب التي جعلت الران على القلوب أليس إذا أذنب العبد نكتت في قلبه نكتة سوداء حتى يكون الران قال تعالى: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } [المطففين١٤]قال النبي صلى الله عليه وسلم: "اللهمَّ بَاعِدْ بيني وبينَ خطايَايَ ، كما باعدتَ بينَ المشرقِ والمغربِ ، اللهمَّ نَقِّنِي من الخطايَا كما يُنَقَّى الثوبُ الأبيضُ من الدَّنَسِ ، اللهمَّ اغْسِلْ خطايَايَ بالماءِ والثلجِ والبَرَدِ . " [صححه البخاري٧٤٤]يارب اغفر لنا وارحمنا وعافنا واعفُ عنا، فهذا أثر الحج والعمرة ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد، وقالوا خص الحديث بالذكر لانه من أشد المعادن صلابة وأكثرها خبثا، وفي هذا إشارة إلى أن الأنسان وإن كان فقره شديداً وإن كان مذنباً ذنوب عظيمة فالحج والعمرة يزيل ذلك كله لكن شريطة أن يتحقق الأنسان بأسرار الحج والعمرة.

الأمر الثاني: الحج والعمرة يجعلان العبد في رعاية الله وحفظه، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "من خرج حاجًّا فمات ؛ كُتِبَ له أجرُ الحاجِّ إلى يومِ القيامةِ ، ومن خرج معتمرًا فمات ؛ كتب له أجرُ المعتمرِ إلى يومِ القيامةِ ، ومن خرج غازيًا فمات ؛ كُتِبَ له أجرُ الغازي إلى يومِ القيامةِ ."[صحيح لغيره ١١١٤] فما أعظم أن يكون الأنسان في ضمان وحفظ وأمن ربه المؤمن الذي هو أمان لكل مؤمن. ومن فضائل العمرة خاصة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" العمرةُ إلى العمرةِ كفارةٌ لما بينهما منَ الذنوبِ و الخطايا، و الحجُّ المبرورُ ليسَ لهُ جزاءٌ إلا الجنةُ"[صححه السيوطي٥٧٣٤]وهذا حث خفي وتتبيع ندي وتلميح شجي لكي نكرر العمرة ونكثر منها، فان التكرير مشروط بفعلها ثانية، فلذلك ينبغي أن يداوم الأنسان على ذلك كلما أستطاع ذلك.فهي كفارة لما بينهما.

الأمر الرابع: أن العمرة إذا كانت في رمضان فإنها تعدل حجة مع النبي صلى الله عليه وسلم ... اللهم لاتحرمنا العمرة في رمضان، فقد جاء في تصحيح الترغيب جاءت أمُّ سُليمٍ إلى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم فقالت: حجَّ أبو طلحةَ وابنُه وترَكاني فقال: "يا أمَّ سُليمٍ عُمرةٌ في رمضانَ تعدِلُ حَجَّةً معي" [صححه المنذري٢/١٧٧] وكأنه يؤنسها ويربط على كتفها ويزيل حزنها .... هذا من فضل الله ونعمته على عباده أن أنزل العمرة منزلة الحج في إنضمام رمضان إليها، وبهذا يسن الأكثار من العمرة في رمضان.

الأمر الخامس: " أنَّ رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال لأمنا عائشة في عُمرتِها إنَّ لك من الأجرِ على قدرِ نَصَبِك ونفقتِك "[صححه المنذري٢/١٧٤]وقال تعالى: { فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ }[الشرح٧:٨]وكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه البشارة يمر بيده الحنونة على كل معتمر. فيمسح عنه تعب وعرق الحج ويهون عليه كل مال ١٢,٣٠ مهما كثر لينفقه في سبيل الله ويبشره بان ما عند الله خير وأبقي وأزكى وأرقى وأسمى وأدوم وأعلى فإذا ما نظرنا إلى الحج خاصة فحيهلا وبخ بخ أيها الحاج فإن الحج يهدم ماكان قبله. قال عمرو بن العاص فلمَّا جعل اللهُ الإسلامَ في قلبي أتيْتُ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم

فقلتُ: يا رسولَ اللهِ ابسُطْ يمينَك لأبايعَك فبسط يدَه فقبضْتُ يدي فقال:" ما لك يا عمرُو قال أردْتُ أن أشترِطَ قال تشترِطُ ماذا قال أن يُغفرَ لي قال أما علمتَ يا عمرُو أنَّ الإسلامَ يهدِمُ ما كان قَبلَه وأنَّ الهِجرةَ تهدِمُ ما كان قبلَها وأنَّ الحجَّ يهدِمُ ما كان قبلَه" [صححه المنذري٢/١٦٥].

وقال صلى الله عليه وسلم: " مَن حجَّ للهِ، فلم يَرفُث ولم يَفسُقْ، رجَع كيوم ولدَته أمُّه "[صححه البخاري١٥٢١]ما أجمل هذا الحال....ماأجمل هذا الصفاء والنقاء.....ماأجمل أن تولد أيها الحاج ولادة جديدة .....قالوا الحج حرفان "ح" من حلم الرب، "ج" من جرم العبد، فيعاملك الله بحلمه وإن كنت تعامله بجرمك. فهكذا الحاج يعيش هذه المعاني العظيمة وينبغي عليه أن يحتسب ذلك فإن لك ما أحتسبت إيمانا وأحتساباً .

فمن فضائل الحج... أنه أفضل أعمال البر، " سُئِلَ النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم : أيُّ الأعمالِ أفضلُ ؟ قال : إيمانٌ باللهِ ورسولِه . قِيلَ : ثم ماذا ؟ قال جهادٌ في سبيلِ اللهِ . قِيلَ : ثم ماذا ؟ قال : حجٌّ مَبرورٌ . " [صحيح البخاري١٥١٩]وقال صلَّى اللهُ عليه وسلَّم :" الحجُّ المبرورُ ليسَ لهُ جزاءٌ إلا الجنَّةُ "[صححه البخاري١٧٧٣].

معنى بر الحج كما قال أهل العلم: أي لايخالطه شئ من الأثم.

وقيل أن يرجع خير مما كان عليه قبل الحج.

وقيل أن يكون زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة.

وقيل: أي أن يكون لارياء فيه ولاسمعة وقد لبى النبي صلَّى اللهُ عليه وسلَّم: لبيك اللهم بحجة لارياء فيها ولاسمعة.

ولا يخالطه شئ من الفسوق أو الرفث.

وقيل: إنه إطعام الطعام وطيب الكلام، وإفشاء السلام. فلا شك أن من أعظم الوان البر فى الحج أن يحسن الأنسان إلى إخوانه، وأن يكون في خدمتهم، وأن يكون دائماً أبداً سبب في تأليف قلوب الناس فإن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون ولكن رضى بالتحريش بين الناس، كان عامر بن عبد قيس إذا أراد الغزو وقف يتوسم الرفاق فإذا رأى الرفاق قال: ياهولاء إني أريد أن أصحبكم على أن تعطوني من أنفسكم ثلاث أشياء.

فيقولون : ماهي؟

فيقول: أكون لكم خادما لاينازعني أحد في الخدمة، وأكون مؤذنا لاينازعني أحد في الآذان، وأنفق عليكم بقدر طاقتي.

فإذا قالوانعم...إنضم إليهم، وإن نازعه أحد منهم شي من ذلك بحث عن غيرهم.

كانوا يشترطون الخدمة، يشترطون النفقة، يشترطون الآذان، وكان عبد الله بن المبارك الأمام المبارك المتوفى سنة ١٨١ كان إذا أراد الحج ...جمع أصحابه وقال: من يريد منكم الحج؟

فيأخذ منهم نفقاتهم ... فيضعها في صندوق، ويغلقه ثم يحمله ثم ينفق عليهم أوسع النفقة ويطعمهم أطيب الطعام، ويشترى لهم من مكة مايريدون من الهدايا، ثم يرجع بهم إلى بلده .... فإذا وصلوا صنع لهم طعاما ثم جمعهم ودعا بالصندوق الذي فيه نفقاتهم فيرد إلى كل واحد نفقته، فكان يشترط أن ينفق على أهل الحج . وهذا من بر الحج.

والحجاج والعمار هم وفد الله دعاهم فأجابوه وسألوه فأعطاهم. ومن عظيم الكرم ومنتهى الجود أن هذا الوفد يكرم قبل أن يصل وتغدق عليه الهدايا وهو في الطريق .... وقال صلَّى اللهُ عليه وسلَّم : " ما ترفعُ إبلُ الحاجِّ رجلًا ، ولا تضعُ يدًا ، إلَّا كتَبَ اللهُ تعالى لَهُ بِهَا حسنةً ، أَوْ مَحَا عنْهُ سيئَةً ، أوْ رفَعَهُ بها درجةً"[حسنه الألباني٥٥٩٦] كل خطوة من بيته من حيث بدأ في الشروع في الحج ...كل خطوة.

وقال علي بن ...... ١٩,٤٠حججت ستين حجة، فجلست في الحجر أفكر في حالي وكثرت ترددي على ذلك المكان ولا أدري هل قبل مني حجي؟ أم رد؟

ثم نمت فرأيت في منامي قائلا يقول لي: هل تدعوا أنت إلى بيتك الا من تحب ؟

قال: فأستيقظت وقد سري عني.

اللهم لاتحرمنا...اللهم لاتحرمنا....اللهم لاتحرمنا.

والحج جهاد وأعظم جهاد، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: " نِعْمَ الجهادُ الحَجَّ"[صححه الألباني٦٧٦٩] وقال : لكن أحسن الجهاد وأجمله حج مبرور وجعله جهاد النساء لأنها لاتقوى على القتال فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم عندماسأله نساؤه عن الجهادِ، فقال : (نعم الجهادُ الحجُّ) "[صحح البخاري٢٨٧٦]بل جعل ذلك جهاد لكل ضعيف فقال صلى الله عليه وسلم: " الحَجُّ جِهادُ كلِّ ضعيفٍ"[صححه الألباني٣١٧١].

وأنا أريد أن تروعوني الأسماع الآن لتسمعوا هذا الأجر العظيم وهذا الفضل العميم وهذا المدهش في فضل الحج .... قال النبي صلى الله عليه وسلم:" أما خروجُك من بيتِك تؤُمُّ البيتَ الحرامَ ؛ فإنَّ لك بكلِّ وطأَةٍ تطؤها راحلتُك يكتبُ اللهُ لك بها حسنةً ، ويمحو عنك سيئةً . وأما وقوفُك بعرفةَ ؛ فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ ينزلُ إلى السماءِ الدنيا فيباهي بهم الملائكةَ ، فيقولُ : هؤلاءِ عبادي جاؤوني شُعثًا غُبرًا من كلِّ فجٍّ عميقٍ ، يرجون رحمتي ويخافون عذابي ولم يروني ، فكيف لو رأوني ؟ فلو كان عليك مثلُ رملِ عالجٍ أو مثلُ أيامِ الدنيا أو مثلُ قطرِ السماءِ ذنوبًا غسلها اللهُ عنك . وأما رميُك الجمارَ فإنه مَدخورٌ لك . و أما حلقُك رأسَك فإنَّ لك بكلِّ شعرةٍ تسقطُ حسنةً ، فإذا طُفتَ بالبيت خرجتَ من ذنوبِك كيومِ ولدتْك أمُّك"[حسنه الألباني١٣٦٠]أي فضل بعد ذلك؟ تغفر الذنوب مهما كانت ...... ولو بالترليونات ويدخر الله عز وجل للعبد من الأجر ما لايحصيه ولايحسبه، كل خطوة تخطوها من بيتك إلى البيت الحرام حسنة ومحي سيئة ولك بكل شعرة تسقط منك حال الحلاقة أيها الحاج لك بها حسنة وتخرج من ذنوبك كيوم ولدتك أمك حتى يأتيك الملك وأنت تسير حال طواف الأفاضة وقد ربت على كتفك يقول أستأنف العمل وأبدأ من جديد ... قد ولدت ولادة جديدة ...ألم أقل لكم إنه الحج ... أعظم عبودية لله، كما يقول الأمام الكساني: الحج فيه إظهار العبودية وإظهار التذلل للمعبود....الكل يلبس الأكفان والكل يأتي وكأنه في يوم الحشر ... فالحج في حال إحرامه يظهر ذلك، فيكون أشعث ويكون أغبر، ويلبس ما سيكفن فيه، ويظهر بصورة العبد الفقير الذي يتذلل إلى مولاه فيتعرض لرحمات ربه تبارك وتعالى، والحج فيه شكر للنعمة..... فالحج فيه عبادة زمنية وعبادة مالية وعبادة قلبية .

ولذلك كان الأمام أبو حنيفة يفاضل بين العبادات فيقول: بلاشك أن الحج أعظم العبادات، وقد برر هذا جابر بن زيد الازدي أبو الشعساء بقوله: رأيت الصلاة تهلك البدن دون المال، ورأيت الزكاة تهلك المال دون البدن، والحج يهلكهما معاً، فلذلك فهو أفضل الأعمال.

هذا هو ما أشار إليه ابن الجوزي رحمه الله حين قال: الصلاة والصيام يجمعان سببين من هذه الثلاثة عقد القلب وفعل البدن والزكاة تجمع سببين: عقد القلب وإخراج المال (النية والعمل البدني)والزكاة النية والمال والحج يجمع الأركان الثلاثة للعبودية عقد القلب وفعل البدن وإخراج المال...لذا الحج بحق أبو العبادات، قال المصنف: ينبغي لمن أراد الحج أن يبدأ بالتوبة ورد المظالم وقضاء الديون وأعداد النفقة لكل من تلزمه نفقته إلى وقت الرجوع ويرد ما عنده من الودائع ويستصحب من المال الحلال مايكفيه لذهابه ورجوعه من غير تقتير على وجه يمكنه معه التوسع في الزاد، والرفق بالفقراء ويستصحب ما يصلحه كالسواك والمشط والمرآة والمكحلة ويتصدق بشئ قبل خروجه وإذا آجر فليظهر للجمال كل مايريد أن يحمله من قليل وكثير، وقد قال رجل لابن المبارك: احمل لي هذه الرقعة إلى فلان.

فقال: حتى أستاذن الجمال.

إذاً في هذه الرحلة المباركة عدة مراحل.....

المرحلة الأولى: ماقبل الرحلة ... وهنا ينبغي أن يبدأ الأنسان بترويض نفسه وتهيئة قلبه، ينبغي أن ندرك ما سنقوم به ...ولماذا نذهب ؟ وما هي الأهداف التي نريدها من هذا الحج؟ أو هذه العمرة؟

يجب أن ندرك شرف هذا البيت الذي سنذهب لزيارته ويكفينا هنا ماشرفه الله به حين نسبه إليه وقال: {أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ}[البقرة١٢٥] أستشعروا بركة هذا البيت فحجارته وضعتها يد الخليل إبراهيم ويد إسماعيل عند بنائه ثم يد النبي محمد صلى الله عليه وسلم عند وضعه الحجر الأسود، وأستشعروا من بركات هذا البيت أختيار الله له .... فإذا كانت المساجد كلها بيوت الله وكلها نتقرب إلى الله بصلاة الجماعة فيها والأجتماع على الذكر والأعتكاف لكن هذا يكون باختيار العباد – نقول سنبني مسجد هنا – لكن هذا البيت خاصة قد أختاره الله ليكون بيته الحرام .... بيته الأعظم.

ومن بركة هذا البيت أن الصلاة فيه بمائة الف صلاة وكذلك شأن الحسنات،فهذا بن عباس يرى أنه ليس الصلاة فقط التي تضاعف في مكة بمائة الف وإنما الحسنة كذلك، وكان يرى ذلك من بركة الحرم.تخيلوا التسبيحة بمائة الف تسبيحة وقراءة القرآن كذلك، فالحرف بعشرة حسنات ثم مائة الف ضعف صارت الف الف أي مليون حسنة في الحرف الواحد في الحرم. أي أجر أعظم ؟؟

هذه من بركات شرف المكان.

قلنا من قبل أن الأعمال تتضاعف بشرف الزمان وشرف المكان وشرف الإنسان .... ومن بركة بيت الله الحرام أنك تمتنع فيه عن الآثام وتلتزم فيه بالأنابة لو رأيت شأن العباد فيه وشأن ما يتنزل الله به عليهم من الرحمات وذقت من ذلك شيئا، لعرفت لما تهفو النفوس إلى هذا المكان الجل الأعظم . ومن بركته أتساع القلوب فيه، وأتساع المكان، ومن بركته أن الأفئدة تهفو اليه فلقد دعا إبراهيم بالأفئدة ولم يقل أجساد قال تعالى: {فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ}[إبراهيم٣٧]

فالرحلة ليست رحلة جسد إنها والله رحلة قلب مشتاق، فعلينا أن نفهم هذا المعنى ونستشعر وطالما ذكرنا إخواننا في هذه الرحلات بهذا المعني– ياجماعة المسلمون الآن كم يبلغ عددهم في العالم؟ مليار وستمائة مليون تقريباً...كم سيعتمر عمرة رمضان؟كم سيحج هذا العام؟كم شخص الآن في الحرم؟قد يكون مليون يزيد أو ينقص... قد تصل لخمسة مليون شخص مثلاً– لقد أصطفاك الله أنت من دون باقي المسلمين لتكون في هذا المكان فهل تشعر بهذا الأصطفاء والتميز؟ هل تدركوا معنى قوله تعالي: { وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ }[الحج٧٨]ما معنى: إن الله أصطفى؟

هل تدركون أن الله قد أنعم علينا بهذه النعمة ؟ وهناك من لايستطيعون ذلك ويبلغون هذا بنياتهم. فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" لقد ترَكتُم بالمدينةِ أقوامًا ما سِرتُم مسيرًا ولا أنفَقتُم من نفقةٍ ولا قطعتُم من وادٍ إلَّا وَهم معَكم فيه قالوا يا رسولَ اللَّه وَكيفَ يَكونونَ معنا وَهم بالمدينة فقال حبَسَهمُ العذرُ "[صححه الألباني٢٥٠٨]وهذا ما نتحدث فيه.

أحذر أن يكون كل تفكيرك المال والنفقة ... والله الذي لاإله غيره مرت بنا قصص عجيبة في أحوال المعتمرين والحجاج .... وجد أحد مشايخنا في فندق من الفنادق الفاخرة جداً التي لايدخلها الا علية القوم رجلاً فقير يعمل ساعي وكان الشيخ يعرفه فسأله كيف جاء هنا؟

فرد الرجل بأنه يأخذ غرفة في هذا الفندق الفخم في مكة وفي المدينة أيضاً.

تعجب الشيخ من الرد وسأله عن تفاصيل هذا الأمر....

فقال الرجل: دخلت على مدير الشركة التي أعمل بها كالعادة أقدم له فنجان القهوة أو الشاي في الصباح وكان سكرتيره يعرض عليه ورق العمرة، وكان قد نسيها وأرتبط بمواعيد وأعمال ....ففكر أن يقوم أحد غيره بالعمرة لإنشغاله .... وظل يفكر ويبحث عن شخص فتذكرني ورشحني للعمرة التي كانت بمبلغ ضخم جداً. وسبحان الله العمرة الفخمة الغالية كانت من نصيبه من حيث لايحتسب .

ربما كان هذا الساعي لايتخيل هذا الثراء وهذه الرفاهية وهذه الحياة ولو ليوم في الدنيا بهذا الشكل.

هذا هو الأصطفاء ... وهذا قوله تعالى: { وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ}[البقرة٢١٢]وكذلك: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ}[الطلاق٣:٢]نريد أن نشعر بهذه المعاني وهذه الأسرار ونفهم هذا الفهم، لما يريد الله لامانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، وقصة أخرى عكس هذا تماماً .... أحد إخواننا وكنا في أواخر شعبان وكان حريص على عمرة رمضان دائماً والأعتكاف في الحرم وكان مجتهد ولكنه تكاسل في سنة من السنين فسألته عن أخبار التأشيرة في آخر شعبان فرد عليّ بإنه لم يقدم بعد، وتعجبت من رده وظل يبرر بأنه يقدم على شقة وو.... وسأحاول أن أقدم على العمرة.

وسبحان الملك ظل يحسب نفقته ومصاريفه ودخله وظروفه ...... وقدم على العمرة وكانت التأشيرات صعبة جداً في هذا العام ويشاء المولى أن مديره يبشره بعلاوة خاصة هذا العام تقريبا بثمن العمرة والتي لم يكن يتخيلها .... فكان يبكي بكاء الدم ليحصل على التأشيرة لأنه حسبها مع الله وهذه الأمور لاتحسب هكذا مع الله، إنما أتركوا الأمر كله لله. وأنتم على يقين أنهما ينفيان الفقر والذنوب. وتصبح حريص وتجتهد لأن الأنسان لايركن على الأسباب ....فلان أو مال أو الوضع الأقتصادي ..... فهذا لا يدل على الصدق في الشوق ..... لذلك يجب أن نفهم هذه المعاني قبل الرحلة.

نبدأ بالتوبة فلايحق لنا بحال أن نبني صرح الحج على شفا جرف هار ... كيف نحج وفي القلب ميل للمعاصي؟ فهذه مصيبة.

بعض الناس في الحج نسأله هل ستقلع عن التدخين بعد الحج؟

تجده يتردد ويقول: نحج أولاً ثم ييسر لنا الله...

نسأل آخر: هل ستتوب من المواقع الأباحية ..... وما شابه؟

تجده يتردد ويقول: سأحاول إن شاء الله....

نسأل آخر: هل ستتوب من الربا وتسحب أموالك من البنوك الربوية؟

تجده يتردد ويقول: سأفكر إن شاء الله....

أتسأل هنا لماذا تحج إذاً؟؟؟؟

هل تحج وتنوي العودة إلى المعصية؟

كيف تفد إلى بيت الله وتدعوه أن يغفر لك وقد عقدت العزم على أن تحاربه بعد عودتك؟

من أراد أن يدق باب الحرم بيده، عليه أن يطرق باب التوبة بقلبه قبل أن تخطو قدم له في طريق الحج.فأسمى غاية للمؤمن هي التوبة، إن أعظم ما يُعرف العبد قدر التوبة وفضلها عند الله وأنها غاية كمال المؤمن أن ينظر في قول الله تبارك وتعالى: { لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ }[التوبة١١٧] إن يتأمل إنها وظيفة العمرفي أول أمرك وفي آخر أمرك {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}[النور٣١]أن يدرك الأنسان أنه ظالم ...يامن تقولون تسلط علينا الظالم، يامن تقولون أنا أبُتليت من ظلم ظالم، يا من تشتكين زوج ظالم أو مديرك الظالم، يا من تشتكي من أب ظالم، يا من تشتكي من حاكم ظالم ... إنه لايولى عليك ولايسلط عليك ظالم إلا بظلمك، ألم يقل الله تعالى: { وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ }[الحجرات١١] وقوله تعالى: {أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ}[التوبة١٢٦]وهذا في خواتيم سورة التوبة لتقول أفهموا الدرس ... كل الفتن والأبتلاءات لنحرر التوبة ونجدد التوبة لكي نرجع إلى الله سبحانه وتعالى، علينا أن نفهم هذه المعاني والأ نتجاوزها ... نكرر الصلاة والتوبة .... ونسأل الله العفو و العافية.

أين الصدق والأخلاص وقوله صلى الله عليه وسلم: " ادْعُوا اللهَ وأنتمْ مُوقِنُونَ بالإجابةِ "[حسنه الألباني٢٤٥] وكذلك: "_يُستَجابُ لأحدِكم ما لم يعجَلْ قيل وكيف يعجَلُ يا رسولَ اللهِ قال يقولُ قد دعوتُ اللهَ فلم يستجِبِ اللهُ لي "[صححه الألباني١٢١٣] وأين فهم السنن عن الله؟ ... أين ذلك؟

أين الأمتثال ؟ أين التربية على هذه المعاني؟ أين التوبة الحقيقية؟

تجد من يفهم موضوع التوبة خطأ ويحقق هذا الأمر في الواقع خطأ ..... كل الموضوع خمس أو ستة ذنوب لو تبنا منهم لأصبحنا من أولياء الله الصالحين وفي قلوبنا مايعلمه العليم الخبير.... لايعلم ذلك الا الله ...من آفات كالكبر والعجب والأنتفاخ بالنفس ورؤية العمل والأحساس بنفسي ومن بعدي الطوفان وأحتكار الحق وشعور غريب بالتعالي ومشاكل من مرءاة الناس وشهوات خفية ... ألم يقل العلماء أن الشهوة الخفية حب الجاه، ألم يقل النبي صلى الله عليه وسلم: "ثلاثٌ مُهلِكاتٌ : شُحٌّ مُطاعٌ ، و هوًى مُتَّبَعٌ ، و إعجابُ المرءِ بنفسِه" [حسنه الألباني٣٠٣٩]فنحن في زمن الآثرة التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم: " سَتَكُونُ بَعْدِي أثرَةٌ و أُمُورٌ تُنْكِرُونَها ، قالوا : فما تأمُرُنا ؟ قال : تُؤَدُّونَ الحقَّ الذي عليكُمْ ، و تَسْأَلُونَ اللهَ الذي لَكُمْ "[صححه الألباني٠٣٦٢] ما إن تتحدث للأسف الشديد مع أحد حتى من يسمون بأهل الألتزام والصلاح والدعوة إلى الله وأهل العلم....كلٍ يحتكر ذلك، كلٍ عنده مشروعه الخاص، كلٍ له رؤيته الخاصة ...لايوجد جماعية في التفكير، ولافقه الأولويات ووووو ..... ثم ماذا ياشباب المسلمين؟ متي نتوب؟ متى نفهم أن التوبة الحقيقية التي تحققت لكعب بعد خمسين يوم من الأبتلاء الشديد والعصر...... تحرم عليه زوجته ويحرم عليه الكلام مع الناس، هذه الهجرة الشديدة ...عُصِر خمسين يوماً ثم يقول له النبي صلى

الله عليه وسلم أبشربخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك ...تاب الله عليك، وأنا هنا في مقام الحج أريد أن نستبشر ببشارة كعب، خير يوم يمر علينا منذ أن ولدتنا أمهاتنا يوم يتوب الله علينا ويتقبلنا ويفتح لنا الباب، عسى أن يأخذ بأيدينا ونواصينا إليه أخذ الكرام عليه، نحتاج أن نحقق هذه المعاني القلبية بأن نفهم عظمة المكان الذي نتجه إليه ونحرر التوبة ونرد المظالم المالية – من نصب على غيره ومن تساهل مع غيره ومن لم يتوخ الورع في مثل ذلك–والأساءة إلى الغير والغيبة والمشاكل والشبهات التي نعاني منها، احذر من هذه فقد تكون قد دخلت في شئ لايجب عليك، يجب عليك أن توجه إلى من يقوم بذلك...فهذا ليس شأنك وليس علينا ان نحكم على نيات الغير وتوجهاتهم فكل له حاله، قد أكون ناقم أشد النقمة على تصرفات أو أقوال لكن عليّ أن أتوخى الحذر لان الخصومات تأكل الحسنات وتأكل إيمان العبد ونجد قلوبنا ضاعت، بالله عليكم كل واحد يضع يده على قلبه ويدعوا الله أن يصلح قلبه، ويسترك ويحفظك فقد فتن الكثير من قبلنا فماذا نفعل نحن؟؟؟؟

أين نحن من حديث رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم:" فوالذي لا إلهَ غيرُه إن أحدَكم ليعملُ بعملِ أهلِ الجنةِ حتى ما يكونَ بينَه وبينَها إلا ذراعٌ فيسبقُ عليه الكتابُ فيختمُ له بعملِ أهلِ النارِ فيكونُ من أهلِها "[صححه أحمد شاكر ٧٢/٦] هناك حفظة قرءان يعطون الناس الأجازة ثم نجدهم يتولوا الذين كفروا ويقولون كلام لاينبغي أن يخرج من فم أنسان مؤمن ويصل بهم الحال إلى أشياء يندى لها الجبين، مال هولاء الناس؟؟؟ وأين أنا منهم؟؟؟

يارب استرني .... يارب لاتفتني .... يارب سلم، يارب إن أردت بالناس فتنة فاقبضني ولا تفتني اقبضنا إليك غير مفتونين .... هكذا يكون الحال، ولا أجلس أشمت وأنقد وأسخر ..... أدعوا الله أن يسترنا ولاتفضحنا، بالله ياشباب أفهموا هذه المعاني جيداً إذا كان أول الأمور أن يبدأ بالتوبة فهناك رد المظالم وقضاء الدين، لانتوسع في أمور الدنيا عن طريق الأقتراض وهذا بالأخص لرجال الأعمال وماشابه الذين يتوسعون في هذا المجال ثم تصبح مشكلة كبيرة وخاصة إذا وافته المنية وهذه الديون يؤخر بسببها في الحساب فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم لايصلي على أحد حتى يسأل هل عليه دين؟ روى جابر بن عبد الله: تُوفِّي رجلٌ فغسَّلْناه وحنَّطناه وكفنَّاه ثم أتينا به رسولَ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ يُصلِّي عليه فقلنا تُصلِّي عليه فخطا خُطًى ثم قال أعليه دَينٌ قلنا ديناراِن فانصرف فتحمَّلها أبو قَتادةَ فأتيناه فقال أبو قَتادةَ الديناراِن عليَّ فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ أُحِقَّ الغريمُ وبرئَ منهما الميِّتُ قال نعم فصلى عليه ثم قال بعد ذلك بيومٍ ما فعل الديناراِن فقال إنما مات أمسِ فقال فعاد إليه من الغدِ فقال قد قضيتُهما فقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ الآن برَدَتْ جلدتُه "[حسنه الألباني٥/٢٤٨]كأنه طول هذا الوقت كان ينتظر الحساب وسؤال الملكين ويفتح له باب الجنة ويرى مقعده فيها ويصير قبره روضة من رياض الجنة ويعجل له ذلك إن شاء الله .... فلا تستخفوا بهذا الدين.

وعلينا أن نعد العدة فى النفقة اللأزمة قال تعالى: { وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً }[التوبة٤٦]

يأخذ معه مايكفيه ولايقتر ويمكن أن يوسع على الناس فقد قال النبي صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: " أفضلُ الحجِّ العَجُّ و الثَّجُّ " [حسنه الألباني١١٠١] العج والثج: كثرة النحر ورفع الصوت بالتلبية، خروف الهدي لو أصبح اثنان لكان أفضل وهكذا، لو ذبح جمال كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم وينفق على الفقراء والمساكين في الحج والعمرة لكان خير له، ومعاونة الرفقة التي معه ويوسع عليهم فهذا أيضا من تتمة الأمر. وكذلك السواك الجميل وما إلى ذلك من أمور الطهارة في غاية الأهمية فالطهارة القلبية مثل الطهارة الجسدية وسوف نستكمل هذه الأسرار والمعاني ......

نريد أن نختم هذا الدرس ببعض المعاني القلبية كما بدأنا سنعيد وكما بدأنا سننتهي بالشوق إلى بيت الله الحرام، وهذه المعاني والقرب من الله تبارك وتعالى ....

أولاً: قال النبي صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ " إنَّ اللهَ تعالى يقولُ : إنَّ عبدًا أصحَحتُ لهُ جسمَهُ ، ووسَّعتُ عليهِ في مَعيشتِهِ ، تمضي عليهِ خمسةُ أعوامٍ لا يَفِدُ إليَّ لمَحرومٌ" [صححه الألباني١٩٠٩]تأملوا قوله: لايفد إليَّ ....ولم يقل: لايفد الي بيتي، فهذه الرحلة رحلة إلى الله وكم نشعر بالأنقطاع عن الله!، وكم نفتقد الوصال بالله! كم نشتكي من إنصراف قلوبنا! وكم بعدنا عن باب ربنا .... أنظروا بهذا المعنى إلى حديث رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم: " تلا رسولُ اللَّهِ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ هذهِ الآيةَ { لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ } وقالَ إذا دخلَ أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ وأهلُ النَّارِ النَّارَ نادى منادٍ يا أهلَ الجنَّةِ إنَّ لكُم عندَ اللَّهِ موعِدًا يريدُ أن ينجزَكُموهُ فيقولونَ وما هوَ ألَم يثقِّلِ اللَّهُ موازينَنا ويُبيِّضْ وجوهَنا ويدخلْنا الجنَّةَ وينجِّنا منَ النَّارِ قالَ فيَكشفُ الحجابَ فينظرونَ إليهِ فواللَّهِ ما أعطاهمُ اللَّهُ شيئًا أحبَّ إليهم منَ النَّظرِ – يعني إليهِ – ولا أقرَّ لأعينِهِم " [صححه الألباني١٥٥] اللهم متعنا بالنظر إلى وجهك الكريم والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة. أنظروا إلى الناس الذين يفدون إلى البيت ويشتاقون إليه وتأملوا قوله تعالى:{ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا } [البقرة١٢٥] فهذا هو المغناطيس الذي يجذب القلوب....

ومن ذاق لذة القرب عرف....ومن شرب من نهر الحب اغترف.

تأملوا في حال سادة المشتاقين .... سفيان بن عيينة يقول: شهدتُ ثمانين موقفا وكان من شدة شوقي وحبي أدعوا الله في كل موقف اللهم لاتجعله آخر العهد بك، وقد علم الله صدق محبتي وشدة شوقي فاستجاب دعائي ولم يحرمني فلما كان العام الذي مات فيه لم يقل شئ فسئل عن ذلك فقال: قد أستحييت من الله.

وهذا عبد الله بن الأمام أحمد قال: حج أبي خمس حجات ثلاث راكبا واثنتين ماشيا، وأنفق في بعض حجاته عشرين درهما، فكان من شدة شوقه أنه إذا لم يجد زاد الحاج عمل حمالاً –الأمام أحمد يعمل شيال! تخيلوا– ليجد تكاليف الرحلة ولايحرم.

وأم أيمن زوجة أبي عليّ من مصر لما رأت الجمال تتوجه إلى مكة صرخت: وضعفاه وعبساه وحسرتاه ... ثم زاد بكائها وعلا نحيبها أكثر وأكثر وهي تقول: هذه حسرة من انقطع عن البيت، فكيف تكون حسرة من انقطع عن رب البيت.

نسأل ربنا أن يرزقنا الحج والعمرة ويتابع لنا بين الحج والعمرة وأن يرزقنا ولايحرمنا زيارة بيته وأن يجعل الممات هناك ونسأله حسن الخاتمة، ونسأله حسن الخاتمة، ونسأله حسن الخاتمة.

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك أشهد أن لاإله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

اللهم صل وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.